

"إسرائيل ومستقبل النظام**السوري"**

د. طارق فهبي *

عرض مركز أبحاث الأمن القومي في إسرائيل فرص وتهديدات التدخل الروسي في سوريا وانعكاساتها على إسرائيل، وسيناريوهات التدخل ونتائجه ومحاذيره، ورؤية إسرائيل لمستقبل النظام السوري في المرحلة المقبلة، وقد صاغ التقرير الرئيس الحالي لمركز أبحاث الأمن القومي والرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي اللواء عاموس يدلين، الذي يعدّ من أبرز الباحثين في الشأن العسكري والاستراتيجي في إسرائيل.

مابعد التدخل الروسي:

أثارت مشاركة روسيا في سوريا جدالاً بين الباحثين والسياسيين في إسرائيل، وتحديدًا ما يتعلق بأهدافها الاستراتيجية والأسباب التي دفعت موسكو إلى التورط عسكرياً، بل وإلى التورط بشكل علني وواضح وفض، على نقيض من سياستها المتبعة في الماضي تجاه سوريا. ولم تكتف روسيا بدعم الأسد من خلال تزويده بالسلح والمستشارين والمظلة الدبلوماسية حيث تفسر الدراسة الاسرائيلية الموقف الروسي من سوريا من خلال مقاربتين على النحو التالي:

المقاربة الأولى، ترى أن إنقاذ النظام السوري ليس إلا ذريعة لهدف استراتيجي أكبر، يقوم على أساس سعي روسي للتركز كدولة عظمى عالمية، ووفقاً لهذه الرؤية، فإن موسكو معنية بالتحول إلى لاعب أساسي في الشرق الأوسط، انطلاقاً من فرضية الضعف المتواصل للولايات المتحدة.

المقاربة الثانية، ترى أن التدخل الروسي يهدف إلى إعادة الاستقرار إلى سوريا عبر المحافظة على نظام الأسد، والإضرار بصورة كبيرة بتنظيم داعش، وأيضاً تقليص تهديد الجهاديين على روسيا.

والمقاربتان تنطلقان على حد سواء، من اعتبارات تتعلق بالأزمة الاقتصادية في روسيا والجمود في أوكرانيا، ورغبة موسكو في كسر العزلة الدولية ورفع العقوبات عنها.

* رئيس وحدة الدراسات الإسرائيلية، بالمركز القومي لدراسات الشرق الأوسط.

سيناريوهات محتملة

توجد أربعة سيناريوهات محتملة كهدف استراتيجي للعمليات الروسية في سوريا:

السيناريو الأول، سوريا الصغيرة جداً: أي ضمان سيطرة الأسد على «الدولة العلوية» في غرب سوريا، مع الحفاظ على مصالح الحد الأدنى لروسيا - الموانئ على البحر المتوسط. إلا أن حجم القوة الروسية على الأراضي السورية، يشير إلى أن الروس يتطلعون الى نطاق اوسع من ذلك.

السيناريو الثاني، سوريا الصغيرة: حفظ نظام الأسد بما يشمل أيضاً دمشق وحمص وحلب وحمماه، مع تركيز الجهد القتالي المشترك ضد قوى المعارضة في شمال وشرق سوريا خاصة وأن التقارير الواردة عن قوة سلاح الجو الروسي والقوات الخاصة قد ترجّح هذا السيناريو.

السيناريو الثالث، سوريا عام ٢٠١١: عودة نظام الأسد للسيطرة على كل الجغرافيا السورية كما كانت عليه عام ٢٠١١. بمعنى تحقيق نصر حاسم على المعارضة وإلحاق الهزيمة العسكرية بتنظيم «داعش» بالإضافة للميليشيات المتعددة المعارضة للأسد.

الا ان هذا الهدف يتطلب من روسيا ارسال مزيد من القوات الى سوريا، بما يشمل قوات برية، وتفعيل مستوى عال من التنسيق مع شركائهم على الارض.

السيناريو الرابع، سوريا من دون الاسد: رغم ان موسكو تعمل على المحافظة على نظام الاسد وفقاً للسيناريوهات الثلاث السابقة إلا أنه لا يمكن ان نستبعد امكانية ان تقبل باتفاق يدعو الى إستبعاد الاسد كرئيس لسوريا (قد يتبلور ذلك في مؤتمر جنيف ٣). الا ان هذا السيناريو يتضمن المحافظة على اجزاء واسعة من نظام الاسد. وفي هذا الإطار، يتم المحافظة ايضاً على اجهزة الدولة بمشاركة من الطائفة العلوية التي بدورها ستحظى بحماية من قبل جهات في «المحور الراديكالي». وهذا كله مع ضمان المصالح الروسية في سوريا، وايضاً التأكيد لمكانتها كلاعب مركزي في بلورة سوريا المستقبلية.

ومن ثم فما زال الوقت مبكراً كي تحدد اسرائيل مرحلة ما بعد التحرك العسكري الروسي علماً ان حجم القوة العسكرية الروسية العاملة حتى الآن في سوريا، تشير الى السيناريو الثاني (سوريا الصغيرة). ويمكن في مرحلة لاحقة، ان يسعى الروس ايضاً الى تنفيذ السيناريو الرابع، اي سوريا من دون الاسد، الا ان السيناريوهات الاربعة مقلقة لإسرائيل، لأنها جميعها تتضمن المحافظة على الوجود والنفوذ الايرانيين في سوريا. مع ذلك، السيناريو الاول (سوريا الصغيرة جداً)، يعني ان إيران ستكون بعيدة عن

حدود إسرائيل، اما السيناريو الرابع (سوريا من دون الاسد) فإن النظام الجديد بقيادة سنية، لن يشجع التعاون مع إيران وحزب الله.

امتنعت اسرائيل عن التدخل في الحرب السورية منذ بداياتها، وعملت فقط ضد نقل أسلحة متطورة إلى حزب الله. هذه السياسة كانت اشكالية، ومن الناحية الامنية، بقاء نظام الاسد ادى الى تعزيز وجود حزب الله وإيران في سوريا، وعلى وجه الخصوص في الجولان. وإذا كان من المأمول في السابق ان يسقط النظام نتيجة استمرار المواجهات من دون تدخل اسرائيلي، الا ان التدخل الروسي الى جانب الاسد، ازال هذه الفرصة.

ووفقا للتصور الإسرائيلي، يُعدّ تنظيم «داعش» في هذه المرحلة بعيداً عن حدود اسرائيل وقدراته العسكرية محدودة، وفي الوقت الحالي لا يشكل تهديداً استراتيجياً. في مقابل ذلك، حزب الله الذي بات يملك قدرات متطورة تسمح له باصابة كل نقطة في اسرائيل بصواريخ بعيدة المدى، قد يستفيد من الخطوة الروسية في سوريا عبر انزلاق السلاح الى ترسانته، او عبر تزويدها، عن قصد.

فيما يتعلق بإيران والاسد، التدخل الروسي يعزز مرحلة جديدة ضرورة دراسة القضية على مستوى المنظومة، وليس على مستوى اللاعب الوحيد اي على مستوى المحور الراديكالي الذي يضم إيران وسوريا وحزب الله، في حين ان روسيا تُعد على الاقل في هذه المرحلة، الجهة التي تؤمن الرعاية لهذا المحور. وإذا تحقّق أحد السيناريوهات الثلاثة السابقة، فهذا يعني ان نظام الاسد باق، وستجد اسرائيل نفسها في وضع استراتيجي متدن، كما ان المشاركة الروسية يمكن ان توفر لإيران وسوريا مشروعية في السنوات المقبلة، اضافة الى وجود قوات حزب الله المجهزة بالاسلحة الروسية المتطورة في سوريا.

إلا أن التدخل الروسي أوجد لإسرائيل فرصتين. تتمثل الاولى في تعزيز الشراكة الاسرائيلية مع الدول السنية في المنطقة، وعلى رأسها السعودية وتركيا، بشراكة وقيادة اميركية. فالغضب والاحباط لدى هذه الدول يمكن ان يُظهِر إسرائيل كثرة استراتيجية لديها. وثانياً، في حال عدم نجاح الائتلاف الغربي ضد الاسد و«داعش»، على إسرائيل أن تسعى الى تنفيذ السيناريو الرابع، بإيجاد سوريا من دون الاسد، مع اتفاق شراكة مع روسيا.

في كل الاحوال، يوصي التقرير بأنه على إسرائيل أن تنخرط في الجهود الفعالة لاسقاط نظام الاسد، ذلك ان اسقاطه يدفع المكانة الاستراتيجية لإيران وحزب الله إلى الهاوية، وإلى مستوى متدن جداً.

إن أخطر التحديات في الساحة السورية يتمثل في حزب الله وإيران، فيما التحديات الكامنة من جهة نظام الأسد وتنظيم داعش، في مستوى أقل، مع ذلك، يجب أن ينظر إلى تهديد الأسد دون الاقتصار على حجم التهديد المباشر الذي يشكله على إسرائيل، بل إلى كونه النظام السوري الذي يسمح لحزب الله ولإيران بالتعاظم في سوريا، وانهاء هذا النظام هو المفتاح لإضعاف المحور الراديكالي في المنطقة.